

عنوان المداخلة: جهود أعلام توات في ترسيخ الاسلام والثقافة العربية الاسلامية في افريقيا جنوب الصحراء

د. بوسليم صالح

المركز الجامعي غرداية- الجزائر

الملخص:

لم يكن علماء توات في جميع الأحوال يقفون موقف المستجيز المستمنح الطالب دوماً للإجازة والسند وطرق التحمل؛ بل وجدناهم -كما ينبئ التاريخ العلمي لهذه الفترة الزمنية- ينهضون بما عليهم من رسالة، ويقومون كغيرهم من العلماء بعد أن نالوا من العلم الذي حصلوه في داخل بلدهم وخارجه بما فرضه الدين والواجب على أمثالهم من الإيصال والإبلاغ؛ فنصّبوا أنفسهم للإفادة؛ فكانوا كما تؤمى هذه الإشارات التي نجتزئ بها يقرئون العلم من كانت عنده أهليته، ويستجازون فيجيزون، وينفعون بنصحهم ومعارفهم الناهلين من أفواههم ولم يقصروا عملهم الإبلاغي والعلمي على بلديهم من التواتيين فحسب، وإنما أغدقوا به غيرهم من الوافدين والطارئين على بلادهم، الذين أفادوا من دروسهم وإملاء اتهم ، بل أن بعض هؤلاء الأعلام والعلماء لم يحبس جهده في توات فحسب، بل رحل إلى بلدان قريبة وبعيدة سواء في المغرب أو المشرق العربيين، أو في بلاد السودان الغربي لنشر العلم والمعرفة والإصلاح.

مقدمة:

بدأت توات منذ تاريخها المبكر في دعم العلاقات مع العالم الإسلامي، والذي استهلته بإقامة صلات ثقافية وطيدة مع الأقاليم المجاورة وكذا الممالك الإفريقية الإسلامية المعاصرة.

ولم يكن علماء توات في جميع الأحوال يقفون موقف المستجيز المستمنح الطالب دوماً للإجازة والسند وطرق التحمل؛ بل وجدناهم -كما ينبئ التاريخ العلمي لهذه الفترة الزمنية- ينهضون بما عليهم من رسالة، ويقومون كغيرهم من العلماء بعد أن نالوا من العلم الذي حصلوه في داخل بلدهم وخارجه بما فرضه الدين والواجب على أمثالهم من الإيصال والإبلاغ؛ فنصّبوا أنفسهم للإفادة؛ فكانوا كما تؤمى هذه الإشارات التي نجتزئ بها يقرئون العلم من كانت عنده أهليته، ويستجازون فيجيزون، وينفعون بنصحهم ومعارفهم الناهلين من أفواههم ولم يقصروا عملهم الإبلاغي والعلمي على بلديهم من التواتيين فحسب، وإنما أغدقوا به غيرهم من الوافدين والطارئين على بلادهم، الذين أفادوا من دروسهم وإملاء اتهم ، بل أن

بعض هؤلاء الأعلام والعلماء لم يحبس جهده في توات فحسب، بل رحل إلى بلدان قريبة وبعيدة سواء في المغرب أو المشرق العربيين، أو في بلاد السودان الغربي لنشر العلم والمعرفة والإصلاح.

فماهي الوسائل التي ساعدت على انتشار الثقافة العربية الاسلامية في افريقيا جنوب الصحراء ؟ وما هي أبرز جهود أعلام توات من الفقهاء والتجار في ترسيخ الاسلام بتلك الأقاليم والممالك الاسلامية؟
أولاً: الوسائل التي ساعدت على انتشار الاسلام و الثقافة العربية الإسلامية في افريقيا جنوب الصحراء :

يعود الفضل في انتشار الاسلام و الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي الى ثلاث وسائل رئيسية وهي: طرق القوافل التجارية، والتجار العرب المغاربة وتنظيماتهم، والدعاة والمبشرون الأفارقة، غير أن العامل الأهم والذي ساعد في انتشار الإسلام في تلك المنطقة يعود -في الحقيقة- إلى الدين الإسلامي نفسه، فهو ذو نظام اجتماعي راق يدعو إلى المساواة بين الناس لا يقيم وزناً لفوارق اللون أو الطبقة، وإنما الفارقة من خلال ما يفعله العبد من أعمال صالحة، لذلك فإن الدين الإسلامي كثيراً ما يوصف بأنه أكثر الأديان ديمقراطية.

ومنذ اكتمال مراحل التعريب وسيادة الدين الإسلامي في مناطق المغرب العربي في القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، بدأت القبائل العربية تتوغل نحو الجنوب حتى وصلت إلى السودان الغربي، ولم تقف الصحراء عائقاً دون تواصل الروابط والصلات المتعددة، فقد كانت طرق ما وراء الصحراء ومسالكها ومنافذها من العوامل الهامة التي ساعدت في تدفق المؤثرات العربية الإسلامية إلى مناطق السودان الغربي.

وبدأت رقعة الإسلام في حالة انتشار مستمر، لا سيما بعد سقوط دولة غانا الوثنية على أيدي المرابطين 1076م. ونجم عن هذا المد القادم من الشمال، قيام ممالك افريقية إسلامية بلغت تقدماً حضارياً ملحوظاً نتيجة اعتناقها الإسلام¹.

ومثلما كانت طرق القوافل التجارية شرياناً للمعادلات الاقتصادية بين مراكز الشمال الإفريقي وبين السودان الغربي، فقد ظلّت - في الوقت نفسه - إشعاعاً للمؤثرات الثقافية، حيث أصبحت المحطات المنتشرة على طول طرق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى أماكن لاحتكاك الأفكار وتأثيراً وتأثراً، وذلك بفضل ما تقدمه للمسافرين من مأوى وسبل الراحة والاستجمام. كما ازدهرت المراكز الهامة في السودان الغربي من الناحيتين الاقتصادية والثقافية وأشهرها، جاو وجني وأروان وتمبكتو.

¹ قاسم جمال زكرياء، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة 1975م، ص 156.

وإلى جانب إنعاش المجالات الاقتصادية، فقد لعبت بعض المراكز في الشمال الإفريقي مثل طرابلس وتلمسان وفاس والقاهرة دورا بارزا في نشر الإسلام والثقافة العربية في السودان الغربي. ولا يغيب عن أذهاننا أن الإقليم التواتي كان على اتصال بشعوب شمال وغرب أفريقيا بحكم موقعه ونشاطه التجاري مع أسواق المنطقتين. الأمر الذي يلفت نظر الباحثين إلى ظاهرة صلة التجارة بانتشار الإسلام في تلك المناطق.

وقد التاجر المسلم داعية لدينه يجمع بين نشر الدعوة الإسلامية وبيع سلعته، فالتجارة من طبيعتها أن تصل التاجر بصلة وثيقة بمن يتعامل معهم، خاصة وإن كان يتحلى بالصدق والأمانة والخلق الحسن، وهذه المثل الأخلاقية السامية كثيرا ما تتوفر لدى التاجر المسلم الذي سرعان ما يلفت إليه الأنظار عند دخوله لقرية وثنية، وذلك لكثرة وضوئه ونظافته وانتظام أوقات صلاته وعبادته. وقد جعلته هذه الصفات الحميدة بالإضافة إلى نظافة البدن والملبس أهلا لثقة الأهالي الوثنيين وقدوة حسنة للإقتداء به وتقليده¹.

والتجارة والأنشطة الاقتصادية فحسب، بل تعداها إلى التبشير بالدين الإسلامي وتعميق الصلات الثقافية بنشر اللغة العربية، وبناء المساجد والمدارس لتعليم القرآن. وهكذا، أضحت التجار العرب يقومون بمهمة الدعاة المسلمين، إلى جانب نشاطهم التجاري، فحملوا معهم العقيدة الإسلامية والحضارة العربية. وكان من نتائج احتكاكهم واختلاطهم بالأفارقة الوطنيين أن حدث التزاوج والمصاهرة وانتشار الإسلام تدريجيا وسلميا في تلك المناطق².

فالدعاة سواء أكانوا من العرب أم الوطنيين الأفارقة، يعتبرون وسيلة من الوسائل التي ساعدت على ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وقد كانوا يدعون الناس إلى الإسلام، ويفقهونهم في أمور دينهم، وذلك لإمامهم بأصول الدين والشريعة الإسلامية ومبادئها السامية. ولذا حظي هؤلاء الدعاة بتقدير الأهالي لهم، إذ أصبحت كثير من قرى وحواضر السودان الغربي تضم كل منها دارا لاستقبال هؤلاء المعلمين الفقهاء الذين كانوا يعاملون بأعظم مظاهر الاحترام³.

ويلاحظ أن معظم أولئك المعلمين، قد درسوا في المراكز الثقافية في الشمال الإفريقي كالحواضر العلمية التواتية وغيرها، وتأهلوا للدعوة الإسلامية بين الأهالي والتأثير فيهم⁴.

وقد وجد الدعاة تشجيعا كبيرا من قبل حكام أقاليم السودان الغربي، وفي ظل هذا التشجيع، بدأ الدعاة والفقهاء والمحسنون في تأسيس المدارس والزوايا التي كانت قبلة لأبناء المسلمين والوثنيين على حد سواء دون تمييز، الأمر الذي أدى إلى انتشار الإسلام والثقافة العربية بنجاح باهر بين أهالي السودان

¹ أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين وآخرين، مكتبة النهضة العربية، القاهرة 1970م، ص 391.

² حسن يوسف فضل، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، العرب وإفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1984م، ص 39.

³ حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1963، ص 213.

⁴ المرجع نفسه، ص 214. ينظر أيضا: عبد المجيد مزيان، "طريق الذهب وطريق الثقافة"، مجلة الأصالة، العدد الثالث، (الجزائر، أوت 1971)،

الغربي¹، وأصبحت هذه المدارس والزوايا تتكاثر وتزدهر حتى أن بعضها أضحى مركز إشعاع حضاري يستقطب أبناء تلك المناطق دون اعتبار لفارق الدين أو اللون.

وتجلّت مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في سنغاي في عهد الاسكيا محمد الكبير وخلفائه، وترتب عليها تكوين حكومة ونظم إدارية متقدمة²، بحيث انتقلت منها حياة المجتمعات القبلية المتفككة إلى مجتمع الدولة المركزية، وحدث الإمتزاج الكامل بين النظم العربية الإسلامية وبين الأنماط الإفريقية المحلية، وتكوّن عنصر جديد يوائم بين ما غرسه الإسلام من ثقافة عربية، وبين بعض الموروث من التقاليد والأنماط الإفريقية، أي برزت الشخصية الإفريقية في إطار إسلامي³.

والمعروف أن ملوك الممالك الإفريقية وسلاطينها، قد درجوا على الخروج إلى الحج في مواكب حافلة تضم أعداداً كبيرة من الوطنيين الأفارقة، وقد أسهمت هذه الرحلات في توطيد العلاقات التجارية والثقافية بين الممالك الإفريقية وبين أقطار المغرب العربي ومصر والحجاز، كما ساعدت في تعريف بتلك الممالك، ونتيجة لذلك، توافد إليها التجار والعلماء والفقهاء، من شتى العالم العربي و الإسلامي.

- العربية لغة التواصل الثقافي بين العرب وإفريقيا:

لقد ساعد انتشار الإسلام في غرب إفريقيا على انتشار العربية، إذ صارت لغة التخاطب والتجارة. وقد تمّ تطور العلاقات الثقافية بين الأفارقة والعرب نتيجة انتشار الإسلام في جو يسوده التعاون الحر بين الأفارقة والعرب وفي تلك الظروف سافر كثير من الأفارقة ولاسيما السودانيون إلى مراكز الإشعاع الإسلامي في بلاد العرب للإستزاده من العلم.

وقد يكون العامل الديني وحده ليس كافياً في تعليل انتشار اللغة العربية في إفريقيا السمراء، بل هذا الانتشار يمكن تعليله بعوامل كثيرة متظافرة ومكملة لبعضها البعض.

ويأتي على رأس هذه العوامل التي ساعدت العربية على الانتشار في القارة السمراء، عدم جواز ترجمة القرآن وكتابته بغير اللغة التي نزل بها، فضلاً عن عدم جواز القراءة بغير العربية في الصلاة⁴. ويعلل بعض الباحثين انتشار العربية في إفريقيا السمراء بالقرابة التي توجد بينها وبين اللغات السامية الأخرى في كثير من المظاهر الصوتية واللفظية والنحوية. زيادة على ذلك هناك إجماع بين علماء اللغات على التشابه الموجود بين اللغات السامية والحامية⁵.

¹ ينظر: د. حميد دولا ب ضيدان، الجذور التاريخية للصلات العربية الإفريقية، ط1، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية- سبها، ليبيا 1993م، ص ص 115-116.

² قاسم جمال زكريا، الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية، العلاقات العربية الإفريقية، دراسة تاريخية للأثار السلبية للإستعمار، (م.ع. ت. ث. ع) القاهرة، 1977م، ص40.

³ محمود حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ج1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م، ص261.

⁴ عمار هلال، "مواقف الإحتلال الفرنسي من اللغة العربية في إفريقيا السوداء"، مجلة عدد60، الجزائر، 1980م، ص52.

⁵ المرجع نفسه، ص52.

لقد شكلت الصلة التجارية بين العرب والأفارقة البدايات الأولى لانتشار اللغة العربية في إفريقيا. فالتجارة بطبيعتها الحال من الضروري أن تلازمها لغة التخاطب بين البائع والمشتري، كما تشكل أداة للصلة والتفاهم وتوطيد العلاقة بينها. وبما أن اللغة العربية كانت أرقى اللغات المحلية فمن الطبيعي أن يلتقطها التجار والأهالي ومن يحيط بهم من إخوانهم التجار وينشرونها فيما بينهم. وهذه العلاقة التجارية إذا هي التي وضعت حجر الأساس للغة العربية في إفريقيا، وبدأ أولئك التجار الأفارقة يدخلون كلمات وتعابير عربية في تلك المناطق، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجياً حتى توغلت في أغلب ربوع القارة الإفريقية واندمج بعضها في اللغات المحلية وخاصة مثل لغة الهوسا والفلان¹. وتجلى ذلك في أسماء تلك البضائع التي كانت تصدر إليها من المغرب في العصور القديمة، وهذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإسلامية التي دخلت بدخول الإسلام للقارة الإفريقية. فنجد في لغة الهوسا مثلاً أن أسماء هذه البضائع عربية. فكلمة السرج والحريز والزعفران واللجام والقلم والداوة وأمثالها كلها وافدة على لغة الهوسا وتتطق بتحريف بسيط².

لقد انتشرت اللغة العربية في إفريقيا بشكل واسع النطاق حيث أصبحت لغة العبادة والعلم والتجارة والدبلوماسية. وهي في الوقت ذاته تعد الرابط الأساسي بعد الدين الإسلامي الذي يربط بين العالم الإسلامي ككل بما فيه إفريقيا السمراء الإسلامية، لذلك فلا غرابة إذا كان انتشار هذه اللغة كبيراً في هذه القارة الأخيرة.

وقد قامت المساجد التي أنشئت والكتاتيب والزوايا بتحفيظ القرآن وتعليم القرآن والكتابة، ويؤكد أغلب المؤرخين على أنه في القرن الرابع الهجري تغلغت الثقافة العربية في إفريقيا الغربية، وأصبحت اللغة العربية لغة التخاطب في المراسلات الرسمية للدول الإفريقية الإسلامية بالإضافة إلى كونها اللغة المستعملة في التجارة³.

يقول أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام في معرض حديثه عن أهمية اللغة العربية وسعة الانتشار الذي حققته في القارة الإفريقية وما قدمته من تطور للثقافة الإفريقية: " وبلغت اللغة العربية وهي اللغة التي تكتب بها دائماً الكتب الدينية الإسلامية حدّاً يفوق كل وصف من الفن والجمال وإذا ما تعلم الإفريقيون هذه اللغة أصبحت لغة التخاطب بين أهالي نصف هذه القارة، وتستخدم كمقدمة لدراسة الأب، بل هي أدب في ذاتها، وهي بالإضافة إلى ذلك لغة شريعة وقانون مكتوبة حلت محل نزوات شيخ القبيلة الإستبدادية، وهذا يعتبر في حد ذاته تقدماً في الحضارة"⁴.

¹ د. حميد دولايب ضيدان، مرجع سابق، ص 124. نعيم قداح، حضارة الإسلام...، مرجع سابق، ص 164.

² السر سيد أحمد العراقي، "انتشار اللغة العربية في بلاد غربي إفريقيا عبر التاريخ"، مجلة الدراسات العربية الإفريقية، العدد الأول، جامعة الخرطوم 1985م، ص ص 102-103.

³ قمر الدين فضل الله، "لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية 1468-1951م"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 4، طرابلس 1987م، ص ص 211-227. نعيم قداح المرجع السابق، ص 150.

⁴ سير توماس وارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 398.

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في إفريقيا هي هجرة القبائل العربية إلى المناطق المختلفة من القارة الإفريقية واستقرارها فيها. وأهم القبائل التي مارست الهجرة في نطاق واسع بغرب إفريقيا، هما قبيلتا زناتة وصنهاجة (بمختلف فروعها) اللتان تسببتا في تقلص الممالك الوثنية العديدة التي أقامها الأفارقة على حافات الصحراء الجنوبية.

وتحت تأثير هذه تعربت عناصر كثيرة من سكان الصحراء الأصليين، بل ومن القبائل البربرية المهاجرة أيضا¹. وهذه الهجرات واغلة في القدم واتسعت بانتشار الإسلام في القارة الإفريقية.

ثم إن عملية الاختلاط العرقي من خلال تزواج العرب والبربر مع القبائل الإفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بنجاح كبير في المناطق التي وفوها². وأدى ذلك الاختلاط ليس فقط إلى نشر العربية فحسب وإنما إلى التطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي لتلك الشعوب التي اختلطوا بها، ولم تقف وعورة الصحراء وبعد المسافات حاجزا دون ذلك الاختلاط. لأن التاجر المسلم كثيرا ما ينتهي به الأمر إلى الاستقرار في ربوع الصحراء أو على ضفافها الجنوبية، فيتزوج هناك ويصبح بفضل المبادئ الجديدة التي يحملها وبفضل ثروته أيضا نواة للحياة الاجتماعية في الوسط الذي أصبح واحداً من أبنائه، كما حدث للكثير من أعلام قبيلةكنته وقبيلة فلان الذين هجروا من توات واستقر بهم المقام في حوض نهر النيجر.

وكانت جميع أنواع المعارف تدرس وتستوعب وتناقش بواسطة اللغة العربية التي أصبحت لغة الكتابة الرسمية والثقافة على حد سواء³، غير أن التدريس للعامة في المساجد كانت تستعمل فيه اللهجات المحلية بعد صلاة الجمعة والأعياد، أما دروس الوعظ، فكان القائم بها يتلو آيات وأحاديث ثم يفسرها للناس بلهجاتهم ليفهموها، وظلت هذه العادة مستمرة في السودان الغربي.

وقد كثرت المكتبات العامة في تمبكتو، وكانت مفتوحة لإطلاع الطلاب والراغبين في العلم، واشتهرت تمبكتو - أيضا - بعدد كبير من حيث المكتبات الخطية الخاصة التي تمتلكها أسر وأفراد من العلماء، حيث أنها تمثل الرصيد الحقيقي من التراث الإسلامي والعربي في هذه البقاع، وتحتوي هذه المكتبات على نفائس ونوادير الكتب وأنها تحتاج إلى جهود مكثفة في سبيل حفظها وجمعها في مراكز علمية ومن هذه المكتبات على سبيل المثال لا الحصر مكتبة أسرة أبي الأعراف في تمبكتو وغيرها⁴.

وخلاصة القول، أن اللغة العربية انتشرت بانتشار الإسلام في القارة. وقد لعب العلماء والتجار التواتيين دورا بارزا في تعميم استعمالها وذلك بفضل نشاط الطرق الصوفية التي أقاموا لها فروعاً وقد وجدت أرضاً خصبة في رمال الصحراء لدعواتهم وممارستهم. وكان للزوايا التواتية الفضل الكبير في

¹ اسماعيل العربي، "مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى"، مجلة الثقافة، عدد 62، الجزائر 1981م، ص 44.

² حميد دولاب ضيدان، مرجع سابق، ص 127.

³ محمد جلال عباس، "اللغة العربية في إفريقيا"، مجلة الدارة، السنة 9، العدد 10، الرياض، 1983م، ص 180.

⁴ عبد الحميد الهرامة، "تنبكتو نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي"، ص 230.

تحقيق التعريب في السودان الغربي وفي بث معارفها بين الناس، وقد اقتضت الضرورة بأنه على كل فرد إفريقي وثني دخل الإسلام أن يتعلم ولو قسطاً زهيدا من لغة القرآن لتأدية فرائضه الدينية. ومن ثمة توطدت أركان العربية في القارة السمراء تدريجياً إلى أن بلغت أوج انتشارها بنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن الماضي¹.

ثانياً: مساهمات أعلام توات العلمية والتجارية:

أ- في الميدان العلمي:

لقد ساهم التواتيون في الإشعاع الثقافي الذي شهدته المراكز الثقافية الواقعة بإفريقيا جنوب الصحراء منذ القرن الخامس عشر للميلاد بشكل ملحوظ سجله أغلب المؤرخون من عرب وأجانب بلمعان كبير، ففي الميدان العلمي نجد نسبة كبيرة من بين أولئك العلماء الأجلاء الذين خصص لهم عالم التكرور أحمد بابا التمبكتي (ت 1032هـ/1642م) كتابه المشهور "نيل الإبتهاج" حيث ذكر من التواتيين الذين انتقلوا إلى بلدان الغرب الإفريقي يدرسون ويفيدون، وقد أَلَّفَ أحمد بابا كتابه هذا تكملة لكتاب ابن فرحون في تراجم فقهاء المالكية الكبار، فكان من بين من ذكرهم عدداً هاما جدا من التواتيين². وجاء بعد أحمد بابا مؤرخ السودان الكبير عبد الرحمان السعدي (ت 1066هـ/1655م) فنقل لنا صورة لامعة عن مساهمة علماء توات ورجالاتها في الثقافة العربية الإسلامية ونقلها إلى بلدان الغرب الإفريقي³.

ثم أَلَّفَ القاضي محمود كعت في التاريخ "الفتاش" فأعطانا رؤية شديدة الوضوح والتألق عن دور علماء توات في كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجد الحافلة بالطلبة والعلماء في القرون (15 و16 و17م) أيضاً. فقد درّس هؤلاء وألّفوا وأفادوا في تمبكتو وفي تدمكت وفي كانو وفي حني وفي ولاته وفي بلاد الكانم على وجه الخصوص⁴.

ولم يكن ذلك من فراغ، لأن التواتيين إلى جانب جهود إخوانهم من أقطار المغرب الحديث قاموا بدور بارز في تأمين التواصل المعرفي وتغذيته باستمرار، وقد كان لهم شرف المساهمة في تعميق الصلات الحضارية المغربية الأفريقية، حيث استقروا في السودان الغربي وسهلوا التبادل وواكبوه وغذوه بمختلف الروافد المعرفية منها التدريس، ونقل الكتب والمخطوطات والعلماء فهذا كله، قد حفز أهمية لتحرك الفكري والثقافي المتبادل، ولذلك اصطبغت الثقافة السودانية في الغرب الإفريقية بالصبغة المغربية في أغلب مظاهرها الثقافية.

¹ عمار هلال، مرجع سابق، ص52.

² يراجع: نيل الإبتهاج بنطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد هرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس 1989م.

³ يراجع: تاريخ السودان، نشر هوادس، ط1، باريس 1964م.

⁴ يراجع: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس. طبعة هوادس، باريس، 1964م.

وقد انتقل من زاوية كنته في توات مع نهاية القرن السابع عشر ميلادي جماعة من الكنتيين القادرين فأسسوا في أزواد إلى الشمال من تمبكتو الحالية فرعا لزاويتهم¹. وكان من أشهرهم الشيخ سيدي المختار الكبير (ت1226هـ) صاحب المؤلفات الكثيرة في الفقه والأدكار واللغة والتصوف، وابنه الشيخ سيدي محمد (ت1242هـ)، وحفيده الشيخ سيدي أحمد البكاي (ت1282هـ)، وقد قام هؤلاء جميعا بدور رائد ومشهود في نشر الإسلام بين الطوارق والقبائل الوثنية².

ومن أبرز أعلام الزاوية الكنتية بتوات الشيخ سيد علي بن أحمد الرقادي (ت1120هـ)، ومن تلامذته المشاهير الشيخ محمد المصطفى بن الشيخ سيدي عبد المؤمن بن الشيخ سيدي أحمد الرقادي، حيث يذكر عنه أنه نشأ وتربى في الزاوية الكنتية، ومات بها بعد طول الأسفار وكثرة التجوال. وقد كان له تلاميذ من الأقطار السودانية ومن المغرب الأقصى وغيرها من الأقاليم الأخرى³.

ومن الذين تولوا أمر الزاوية الكنتية ومشيختها الشيخ سيدي علي ابن أحمد الصوفي، الذي ولد بالزاوية سنة 1140هـ/1728م، وقرأ القرآن وما تيسر من علوم العقائد والفقهيات والنحو والصرف عن جده الشيخ سيدي محمد، ثم عن أبيه من بعده، وكان ذا إمام بعلوم الحديث وعلوم القرآن. حيث عرف بالحفظ والفهم، وقال فيه الشيخ سيد المختار الرقادي: "كان يحفظ أزيد من ثلاثمائة ألف حديث"⁴. وكان يعرف بـ: **علي الأصغر**، وتربى تحت كفالة أبيه، وكان تلميذ بأمر من أبيه عند ابن عمه الشيخ سيد الحاج بن محمد المصطفى بن سيدي عبد المؤمن الرقادي، هذا الأخي الذي يعد من أساطين العلم بالزاوية الرقادية الكنتية، وقد أجازته شيخه في التفسير والحديث وعلم الأصول وعلم البلاغة. وكان ذا جلاله ومهابة قال فيه صاحب كتاب (فتح الشكور): "كان رحمه الله من عباد الله الصالحين، والأولياء العارفين، أرباب الأحوال، من الذاكرين الله كثيرا"⁵، مكث في آخر حياته معتزلا بالزاوية في خلوة جده لأبيه حتى مات بها يوم عيد الأضحى في ليلة الجمعة عام 1240هـ/1824م كما قيده الشيخ سيد المختار القاضي⁶.

وآخر الخلفاء بالزاوية الكنتية الشيخ سيد المختار الذي تولى الزاوية للتعليم والإفتاء والقضاء وكان قاضي القطع والتحقيق بالزاوية الكنتية. التي ولد بها عام 1211هـ وبعد أن أتمّ تعليمه الإبتدائي سافر به والده إلى أرض مالي وكان والده معروفا بتلك النواحي وله الإتصال الكامل بخيارها وأهل الصلاح فيها،

¹ البرتلي، فتح الشكور...، مصدر سابق، ص15 (مقدمة المحقق).

² ينظر: د. محمد حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة/18-19م رج1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007م، ص289.

³ ينظر: محاضرة للشيخ سيدي الحاج أحمد الكنتي حول "الزاوية الرقادية الكنتية وأعلامها، ضمن أعمال الملتقى الثاني حول دور آل كنتة في نشر الثقافة الإسلامية، زاوية كنتة أدرار في 20ماي 2004، ص26. (عمل غير منشور).

⁴ المرجع نفسه، ص27.

⁵ أبي عبد الله الطالب البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م، ص200.

⁶ وقد ذكر صاحب فتح الشكور أنه توفي رحمه الله تعالى عام 1194هـ.

ونزل به في الحلل الكنتية¹ وصادف بها رجالا كانوا من أهل العلم والمعرفة منهم الشيخ سيدي عمر بن علي المختاري الذي تتلمذ على يده الشيخ سيد المختار وأخذ عنه علوم الحديث ومصطلحاته وعلوم القرآن للسيوطي، وقد لُقنه الأوراد القادرية وأجازه في الطريقة الكنتية القادرية، ومكث بأرض أزواد مدرسا ومفتيا وإماما بخيم الرقايدة بأرض تقانت. وبعد موت الشيخ سيدي عمر (ت 1278هـ) عاد سيد المختار إلى الزاوية الكنتية التواتية بدعوة من أهل الحل والعقد من جماعة الرقايدة وجماعة الأشراف، حين لم يبق بالزاوية عالما يشار إليه. ولما استقر الشيخ سيد المختار بالزاوية بعد طول الغيبة عنها طلبوا منه أن يُعَلِّم في مسجد أجداده ويُحي ما اندرس من العلوم به².

وقد تولى خطة القضاء لمدة عشرين سنة، وكان القاضي الثاني في المنطقة، وفي وثائقه كان يختم بقوله: "المختار بن محمد مصطفى الرقادي قاضي القطع والتحقيق"³، وقد انتشر عنه من العلم ما لم ينتشر عن أحد من أسلافه بعد جده الشيخ سيد علي بن أحمد، وكان خير قائم بالزاوية في التعليم والتربية وإكرام النازلين والسهر على مصالح طلبة العلم والقيام بشؤونهم.

وإذا الكتّاب والباحثون قد اعتادوا الإشادة بالمؤسسات التعليمية الكبرى في الصحراء مثل جامعة تمبكتو وغيرها من المعاهد العالية، فإن ما يؤخذ عليهم أنهم ينسون تلك المدارس الصغرى المستقرة والمتقلة (الحلة) التي كانت هي الأساس في مد تلك الجامعات بالطلبة.

إن الفضل في كل ذلك يعود إلى هاته المؤسسات الشعبية البسيطة التي كانت تحمل على ظهور الجمال، وتارة تحت سقف سعف النخيل في مدرسة القرية، ومن أشهر الحالات التي أسهمت في نشر التعليم جنوب الصحراء الحلل الكنتية.

لقد كان للجماعات الكنتية الوقائع المشهورة والأخبار المنشورة والآثار المنشورة في كل ناحية من نواحي المغرب العربي والسودان الإفريقي.

وصفوة القول، إن الزوايا والمدارس الكنتية تعتبر بحق نموذج للدعوة والإرشاد بإفريقيا والمغرب في العصر الحديث.

ب- في الميدان التجاري:

استمد اقليم توات أهمية اقتصادية كبيرة من موقعه كنقطة التقاء العديد من طرق التجارة الداخلية والخارجية، التي أهلتها لأن تكون مدنه أسواق كبرى ومستودعا للبضائع الواردة من الشمال والجنوب.

وهكذا كانت تجارة القوافل التي برع فيها التواتيون ذات أهمية اقتصادية كبرى لممالك الغرب الإفريقي والوسط وسكانهما، ولهذا نجد أمير بورنو على ما يذكره الرحالة الإيطالي مالفانت الذي زار توات

¹ الحلة على مائة خيمة، وفي اصطلاح الكنتيين هي مجموعة سكنية تتألف من مسجد للصلاة ومكان للتدريس وقد عرف بني الكنتي بكثرته وتعدد

الحلة في صحراء أزواد بأرض دولة مالي والتي ساهمت في تفعيل الروابط التجارية والثقافية..

² محاضرة الشيخ سيدي الحاج أحمد الكنتي حول "الزاوية الرقادية الكنتية وأعلامها"، مرجع سابق، ص32.

³ المرجع نفسه.

خصيصا في سنة 1447م أي منتصف القرن الخامس عشر ميلادي يكتب رسالة إلى علماء توات يشكو لهم فيها من قلة توارد قوافل بلدهم على بلده في تلك السنة والتي قبلها ويرجوهم العمل على حث تجار قصورهم كي يبعثوا بتجارتهم إلى بلاده¹.

وبانتشار الإسلام في السودان الغربي، تدعمت العلاقات بالشمال الإفريقي، وكانت الإبل وسيلة للنقل المستمر بين جانبي الصحراء الكبرى ودعمت رئيسية لازدهار التجارة في كنف الإسلام، فلم ينل حيوان آخر من الشهرة والأهمية مثلما نالها الجمل، حيث كان مرتبطا بحياة البدو الذين تمكنوا من ترويضه واستئناسه.

ومن الطرق التي أصبحت لديها أهمية بارزة في غرب إفريقيا، الطريق الذي يمر بتوات، وينطلق إلى السودان الغربي من الشمال الإفريقي²، حيث كَوّن التواتيون جالية كبيرة في مدن حوض نهر النيجر كتمبكتو وجاو وغيرها.

وبفضل الأمن الذي وفره الإقليم التواتي للقوافل الصحراوية التي تقصد أسواقه، حرصت قوافل التجار والمسافرين والحجاج على التوقف بأسواقه للتزود بما تحتاج إليه من مؤن وماء، كما تستطيع هذه القوافل أن تستبدل ما ضعف من إبلها وخيلها بأخرى سليمة لتواصل سيرها الطويل³.

وبفضل الأمن الذي عم توات استطاع سكان القصور التواتية الذين نعموا بخير الأمن أن يبلغوا بتجارتهم حتى تمبكتو وجاو وإلى البلاد التي تقع عند منعطف النيجر، كما كان بعض التجار التواتيون يستأجرون الوسطاء للسير ببضائعهم إلى أسواق تمبكتو⁴، وكان غالبية الأدلاء من قبائل أولاد المختار أو أولاد زنان أو الطوارق، الذين اكتسبوا خبرة بمسالك الصحراء الوعرة، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون عند حديثه عن القوافل المتجهة نحو السودان حيث يقول: "... المفازة المجهلة لا يهتدي فيها للسبل، ولا يمر الوارد إلا بالدليل الخريت من الملتمين الطواعن بذلك الفقر، يستأجره التجار على البذرة(*) بهم بأوفى الشروط."⁵

إن قوافل التجار الذين كثيرا ما يكون بينهم الفقهاء والعلماء، تحمل معها إلى جانب السلع والمنتجات أخبارا وأفكارا جديدة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية السائدة في مختلف أقطار العالم الإسلامي، وما تتمتع به هذه المجتمعات من العدل والنظام وغير ذلك مما يستهوي النفوس المتعطشة إلى هذه الأشياء.

¹ عبد القادر زيادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، ص 28-29.

² يحي بو عزيز، مع تاريخ الجزائر، ص 111-112.

³ فرج محمود فرح، مرجع سابق، ص 77-78.

⁴ A.G.P.Martin; Quatre siècle D'histoire marocaine au sahara(1504-1902),Paris,1923, p114.

(*) البذرة: الخفارة. الميزرق: الدليل والخفير.

⁵ عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر...، ج7، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1959م، ص 118.

وأهمية التجارة في انتشار الإسلام في الصحراء و في إفريقيا جنوب الصحراء لا يمكن للباحث أن يبالغ في تقديرها. والواقع أنه إذا كان المسلمون قد فتحوا معظم المناطق التي تشكل العالم الإسلامي بالجيوش فهم إنما فتحوا الصحراء بقوافل التجار وبالتنظيم المحكم الذي توفره الشريعة الإسلامية للمعاملات التجارية.

وبالرغم من المحاولات الأوربية لتحويل التجارة إلى سواحل إفريقيا الغربية و استخدام الممرات المائية لنهري النيجر و البنيوي، فإن هذه المحاولات باءت بالفشل حتى الربع الأخير من التاسع عشر الميلادي¹، وهي فترة التكالب الاستعماري على القارة الإفريقية وعليه، فإن معظم القرن التاسع عشر شهد ازدهارا في حركة تجارة القوافل من الشمال والجنوب ، وتمخض عن ذلك أن ظل إقليم توات أحد أهم المراكز التجارية الصحراوية الزاهرة ، وذلك بسبب ما تمتع به من موقع جغرافي مميز خلق مناخا مناسباً لالتقاء الطرق التجارية وتنشيط الجوانب الاقتصادية المختلفة مما كان له انعكاسه على تدفق العناصر السكانية المتنوعة إلى الإقليم وعلى البيئة الاجتماعية والثقافية فيه.

ثالثاً: - جهود علماء توات في ترسيخ الإسلام بإفريقيا الغربية:

كانت الجماعة التواتية عبر تاريخها الطويل من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء ، فلم يقتصر جهد هذه الجماعة على النشاط الاقتصادي، بل امتد إلى نواح أخرى، وكما مر بنا فإن هذه الصحراء رغم صعوبة طرقها ومسالكها، فإن التواتيين أوصلوا أسواق شمال المغرب العربي بأسواق الجنوب السوداني عن طريق قوافلهم الذاهبة والآتية، ومع هذه القوافل اطلع التواتيون عن كثب على التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عرب المشرق والمغرب، وفي نفس الوقت قام فقهاء وعلماء توات بنقل ما عندهم من علوم ومعارف إلى مناطق السودان الغربي وإلى جيرانهم سكان الصحراء، ولم يتحقق كل هذا إلا عن طريق سفر الكثير من علمائهم وفقهائهم إلى الخارج، بالإضافة إلى استقرار جاليات تواتية بالسودان الغربي بقصد العمل والتجارة².

وقد أبدى أهل السودان الغربي شغفا ورغبة في توسيع مداركهم العلمية، وذلك بالترحال للمراكز الثقافية الهامة في المغرب العربي ومصر لينهلوا العلم منها وعند عوتهم، يتولى بعضهم أرفع المناصب³، فبعض هذه الطبقات المتعلمة في السودان الغربي من أئمة ودعاة وقضاة ومعلمين كانت تتجه إلى مراكز الصحراء العريقة كتوات، وواد سوف، وورقلة، وتقرت، ووادي ميزاب وغيرها. لتلقي العلم والفقهاء والشريعة وأصول المذهب المالكي، وهو المذهب الرئيسي في السودان الغربي، ويرجع انتشار هذا المذهب

¹ عبد الرحمان تشايجي، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ص53-57.

² فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص113.

³ عبد الرحمان عبد الله الشيخ، دول الإسلام وحضارته في إفريقيا، دار اللواء، الرياض 1983م، ص5.

وتوطيده هناك لعدة أسباب منها ملاءمة هذا المذهب لطبيعتهم، فهو مذهب عملي يعتد بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم، ويناسب بساطتهم في الصحراء دون تكلف أو تعقيد، فهم يميلون إلى البساطة والوضوح، والحرص على التمسك بالدين الإسلامي وأصوله خوفا من الإنزلاق في ماهاوي الضلالات ومحاربة البدع¹.

ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي اعتبر الإقليم التواتي مركزا أماميا لنشر الإسلام بالمدن السودانية الواقعة بالقرب من الأطراف الجنوبية للصحراء الجزائرية. ويعتبر الشيخ الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي من أكبر رواد الحركة الإصلاحية في توات وفي ممالك إفريقيا الإسلامية التي تجول بها كثيرا، وعاش فيها زمنا طويلا مخلقا العديد من الآثار القيمة كمسجد "الكرامة" بالنيجر الذي لا يزال قائما إلى اليوم ومكتوبا على صومعته: "هذا مسجد الكرامة الذي بناه الشيخ المبارك محمد بن عبد الكريم المغيلي من صلاة العشاء إلى مطلع الفجر"².

لقد ظل أثر ونفوذ الشيخ المغيلي يمتد ويقوى حتى بعد وفاته، في جميع أنحاء السودان، وقد كانت تعاليمه التي اعتنقها الكنتيون والفلانين بمثابة خميرة لقيام حركات إصلاحية خلال القرن التاسع عشر الميلادي في السودان الأوسط والغربي أي من السنغال إلى تشاد، فقد قامت في مالي وحدها عدة ممالك ذات صبغة إسلامية بحتة نذكر منها على سبيل المثال مملكة ماسنة وسيغو اللتين أساهما الشيخ أحمد الفلاني والحاج عمر الفوتي³.

ومن العلماء والفقهاء الذين انطلقوا من زوايا توات إلى غرب إفريقيا، لنشر الإسلام، واللغة العربية، وسط السكان الأصليين نذكر⁴:

- سيدي أبو القاسم التواتي (ت935هـ) بمدينة تمبكتو،
- الطالب سيدي أحمد التواتي بن محمد (ت1188هـ)، -
- الحاج أحمد بن الحاج الأمين الملقب بالتواتي الغلاوي (ت1157)،
- سيد المختار الكبير الكنتي (ت1226هـ)،
- الشيخ أبو الأنوار التتلائي (ت1168هـ) الذي انتقل لبلاد التكرور، فدرس هناك، وأفتى مدة، ثم عاد إلى صحراء توات وبنى زاويته بمنطقة تيديكت،⁵

¹ محمد الجبدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، (د.ت)، ص 29-32.

² مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهده دولة بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2005/2006م، ص 197-198.

³ نعيم قدام، المرجع السابق، ص 119-122، عمار هلال، مساهمة بعض الشخصيات السودانية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا السوداء، مجلة الإصالة، السنة التاسعة، (الجزائر، نوفمبر-ديسمبر 1980م)، ص 96-97. أحمد حسن محمود، مرجع سابق، ص 298.

⁴ البرتلي، مصدر سابق، ص

⁵ محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنظيبي، جوهرة المعاني فيما ثبت لدى من علماء الألف الثاني، مخطوط بالخزانة سيدي أحمد ديدي تمنظيط، أدرار، ص 09.

- الشيخ محمد بن أب المزمري الذي يعد من أبرز الشخصيات العلمية بتوات، حيث أنه يعرف بصاحب الجولان، فلقد جال في المغرب الأقصى وفي مالي مثل تمبكتو وأروان بغرض الإستفادة والإفادة.¹ - الشيخ الحسن بن سعيد البكري (ت 1292هـ)،

- الشيخ محمد الحسن الفلاني القبلاوي (ت 1352هـ)، الذي تعلقته همته السنية بالجولان في الأرض ليزداد علما على علمه فجال في أرض الله طلبا للعلم واجتمع أثناء تجولاته بعدة علماء ما بين ليبيا ومالي، وغيرها، فكانت له علاقة متينة مع العلماء داخل الإقليم وخارجه وخصوصا آل الشيخ الكنتي مثل الشيخ باي بن عمر والشيخ محمد بن بادي والشيخ محمد بن البكاي، وقد جلس للتدريس والإفتاء بعد أن أجازه الشيخ المختار بن اسماعيل بن وديعة الله السلاوي.²

وقد استمر تدفق الفقهاء التواتيين إلى تمبكتو حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. وكان دورهم عظيما في نقل حضارة العالم الإسلامي إلى مناطق السودان الغربي الوثنية، ويرجع لهم الفضل أيضا في استمرار إمداد هذه المناطق البعيدة بالفقهاء والأساتذة الذين ساهموا في تغذية الشعوب الإسلامية المتعطشة هناك بالثقافة والأفكار الإسلامية.

وأهم ما يشد انتباه الباحث ظاهرتان بارزتان:

الأولى: أن هؤلاء العلماء التواتيين الراحلين إلى بلاد التكرور أو الحواضر الإسلامية الإفريقية من أجل التحصيل كانوا من الكثرة بالمقدار الذي يتعذر على الباحث تتبعه واستقصاؤه.

الأخرى: أن رحلات هؤلاء التواقين إلى التحصيل لم تكن محصورة في منطقة واحدة معينة أو رقعة محدودة، بل انطلقت من ذلك الإحساس الضاغط - في تلك الأزمان - من الواحات والصحاري والمدن والقرى التواتية المختلفة.

وفي كلتا الظاهرتين تجسيم حقيقي للإحساس الكامن المستكن الذي كان يسكن أعماق أولئك الراحلين، وشعورهم - على الرغم من ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية البائسة - بفضل العلم، ووجوب السعي إلى تلقيه وتبليغه، وتجسيد حي لأسلوب ذلك الجيل العصامي الرائد للخروج العلمي ببلادهم من ظلمات الجهل والتخلف إلى ما يرجونه من نور المعرفة والعلم والرفق.

ولم تكن العلاقات التجارية الواسعة التي ربطت السودان الغربي بالأسواق التجارية في إقليم توات، لتمر دون أن تخلق آثارا ثقافية، يمكن التعليق عليها بأنها كانت عميقة ومهمة، عمق وأهمية تلك التجارة التي كانت الوسيلة في وصول التواتيين إلى تلك البلاد النائية. ولم تكن كلمة تاجر تختص بالسلع فحسب، بل كان لها مفهوم واسع، فكان التاجر غالبا من العلماء.

¹ يراجع: أحمد جعفري، محمد بن أب المزمري، 1160هـ، حياته وآثاره، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004م. محمد باي

بلعالم، الرحلة العلمية، ج2، دار هومة، الجزائر 2005م.

² محمد باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر...، دار هومة، الجزائر 2005م، ص 33-40.

ولما كان هؤلاء التجار من العرب والبربر المسلمين، فقد حملوا معهم الثقافة الإسلامية، فكانوا مبشرين لتلك الثقافة في بلاد السودان الغربي¹، وكانت مدينة تمبكتو في طليعة المراكز الثقافية في بلاد السودان، كما كان لها أثر قوي في تقدم الإسلام². فتمبكتو مدينة إسلامية عريقة منذ نشأتها، .. مادنتها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان مأوى العلماء والعابدین ومألف الأولياء والزاهدين وملتقى الفلك واليسار فجعلوها خزانة لمتاعهم وزروعهم إلى أن صارت مسلكا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم³

الخاتمة:

وهذه المعلومة تبين مدى ما كانت تتمتع به مدينة تمبكتو من أهمية ازدادت إشعاعا وتألقا لما توافد عليها لفييف من العلماء التواتيين وغيرهم. وكان دورها الثقافي بالنسبة لأهالي السودان الغربي والأوسط شبيه بما قامت به المراكز الثقافية كتمنطيط وزاويةكننتة بتوات، وطرابلس بليبيا، والقرويين بفاس، من خدمة جلييلة للإسلام والمسلمين في إفريقيا.

ومن الآثار الثقافية التي تركتها العلاقة بالسودان، نشر اللغة العربية لغة القرآن في أجزاء من تلك المناطق ولو بشكل محدود وقد ساهمت الزوايا والطرق الصوفية بشكل لافت في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية الإفريقية.

ومجمل القول، فإن الروابط الثقافية لأقليم توات بالسودان كانت أكبر من أن تشملها هذه السطور، كما أن هذا العمل يعدّ مظهرا من مظاهر التعاون والتكامل والتواصل الحضاري بين توات وشعوب أقاليم السودان الغربي.

المصادر والمراجع:

- 1- أبي عبد الله الطالب البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م .
- 2- أحمد جعفري، محمد بن أب المزمري، 1160هـ، حياته وآثاره، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004م. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، دار هومة، الجزائر 2005م .
- 3- أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين وآخرين، مكتبة النهضة العربية، القاهرة 1970م.
- 4- اسماعيل العربي، "مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى"، مجلة الثقافة، عدد 62، الجزائر 1981م.
- 5- تاريخ السودان، نشر هوداس، ط1، باريس 1964م.
- 6- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس. طبعة هوداس، باريس، 1964م.
- 7- حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1963.
- 8- حسن يوسف فضل، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، العرب وإفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1984م.¹

¹ يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، ص 15-16.

² عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث، ط2، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1967م، ص 42.

³ عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس 1967م، ص 21.

- 9- د. حميد دولا ب ضيدان، الجذور التاريخية للصلات العربية الأفريقية، ط1، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية- سبها، ليبيا 1993م.
- 10- قاسم جمال زكريا، الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية، العلاقات العربية الإفريقية، دراسة تاريخية للأثار السلبية للإستعمار، (م.ع.ت.ث.ع) القاهرة، 1977م.
- 11- السر سيد أحمد العراقي، "انتشار اللغة العربية في بلاد غربي إفريقيا عبر التاريخ"، مجلة الدراسات العربية الإفريقية، العدد الأول، جامعة الخرطوم 1985م.¹ قمر الدين فضل الله، "لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية 1468-1951م"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد4، طرابلس 1987م.
- 12- عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر... ج7، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1959م.
- 13- عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس 1967م.
- 14- عبد الرحمان تشايحي، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى.
- 15- عبد الرحمان عبد الله الشيخ، دول الإسلام وحضارته في إفريقيا، دار اللواء، الرياض 1983م.
- 16- عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء.
- 17- عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث، ط2، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1967م.
- 18- عبد المجيد ميزان، "طريق الذهب وطريق الثقافة"، مجلة الأصالة، العدد الثالث، (الجزائر، أوت 1971).
- 19- عمار هلال، "مواقف الإحتلال الفرنسي من اللغة العربية في إفريقيا السوداء"، مجلة عدد60، الجزائر، 1980م.
- 20- عمار هلال، مساهمة بعض الشخصيات السودانية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا السوداء، مجلة الاصلالة، السنة التاسعة، (الجزائر، نوفمبر-ديسمبر 1980م).
- 21- قاسم جمال زكريا، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة 1975م.
- 22- مبخوت بودوايه، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراة في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2006/2005م، ص 197-198.
- 23- محاضرة للشيخ سيدي الحاج محمد الكنتي حول "الزاوية الرقادية الكنتية وأعلامها، ضمن أعمال الملتقى الثاني حول دور آل كنتة في نشر الثقافة الإسلامية، زاوية كنتة أدرار في 20ماي 2004، (عمل غير منشور).
- 24- محمد الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، (د.ت).
- 25- محمد باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر...، دار هومة، الجزائر 2005م.
- 26- محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنظيطي، جوهرة المعاني فيما ثبت لدى من علماء الألف الثاني، مخطوط بالخزانة سيدي أحمد ديدي تمنظيط، أدرار 09.
- 27- محمد جلال عباس، "اللغة العربية في إفريقيا"، مجلة الدارة، السنة 9، العدد 10، الرياض، 1983م.
- 28- محمد حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة/18-19م رج1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007م.
- 29- محمود حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ج1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م.
- 30- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد هرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس 1989م.
- 31- يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية.